

يسميهـم «القطيع الناطق»، وأن يتخذ الغاية مبررة للوسيلة، فيحتال على القانون وعلى القيم المثالية كي يكون متفوقاً في الحياة.

وفي «الجريمة والعقاب» للكاتب الروسي «دوستويفسكي» يؤمن «راسكولنيكوف»، وهو طالب جامعي فقير وطموح، بأن هناك فئتين مختلفتين من الناس: فئة العاديين، وفئة المتفوقين. أما الفئة الأولى، فيرى «راسكولنيكوف» أنها بمثابة «مواد»، وأن وظيفتها الرئيسية هي «التناسل» والخضوع والطاعة والاعتدال واحترام القوانين، وأما الفئة الثانية فهي فئة العظماء العباقر من أمثال «ليسورجوس، وسولون، ومحمد، ونابليون»<sup>(٣)</sup> - الذين يحق لهم أن يفعلوا ما يشاؤون، فيخالقوا القوانين المقدسة لدى الآخرين، ويريقوا الدماء، مهما كانت بريئة، ويدمروا من أجل تحقيق فكرة جديدة.. وإذا وجب على أحدهم، من أجل تحقيق فكرته، أن يخطو فوق جثة، أو فوق بركة دم، فإنه يستطيع أن يعزم أمره على أن يخطو فوق الجثة وفوق بركة الدم مرتاح الضمير، وكل شيء رهن بمضمون فكرته»<sup>(٤)</sup>.

ولما كان «راسكولنيكوف» يأمل أن يكون خارقاً مثل «الإسكندر المقدوني» أو «نابليون» فإنه عزم على أن يلتمس الوسائل لبلوغ غايته، وكان المال أول وسيلة لا بد أن يصطنعها ولا يستطيع أن يستغني عنها. ومن أين له بالمال وهو المعوز الذي يتجرع آلام البؤس؟.

وكانت العجوز المرابية «أليونا إيفانوفنا» التي سبق لراسكولنيكوف أن رهن عندها بعض أمتعته - حين ألحت الفاقة عليه، واشتم رائحة المال عندها - هدفاً لغضبه وحنقه الشديد. إن هذه العجوز - في رأيه - كـ«حشرة» تجمع المال من الربا وتكثره لمجرد إشباع رغبتها في الاكتناز، وليس من أجل غرض من أغراض الحياة، لأنها وحيدة لا زوج لها ولا ابن ولا حفيد، وإذن فإنها ليست جديرة بهذا المال الذي تستحوذ عليه، بينما هو الذي يطمح إلى أن يكون متفوقاً لا يجد ما يسد به رمقه ويرضيه به كبريائه بوصفه شاباً مثقفاً لا يريد أن يعتمد على أمه وأخته البائستين.